

البحث العلمي والتكنولوجيا في الخليج

جمال مراد قيس

2026-04-05

لم يعد البحث العلمي في دول الخليج العربي ترفاً فكرياً أو نشاطاً أكاديمياً منفصلاً عن الواقع، بل أصبح في السنوات الأخيرة أحد الأعمدة الأساسية التي تقوم عليها مشاريع التحول الاقتصادي الكبرى في المنطقة.

ومع تسارع التغيرات العالمية المرتبطة بالتكنولوجيا، وخاصة في مجالات الذكاء الاصطناعي والاقتصاد الرقمي، بدأت دول الخليج تدرك أن امتلاك المعرفة لم يعد خياراً، بل ضرورة استراتيجية تمس السيادة الاقتصادية ومستقبل التنمية.

هذا الإدراك لم يأت فجأة، بل تشكل تدريجياً مع تراجع الاعتماد النسبي على النفط، وتزايد الحاجة إلى تنويع مصادر الدخل. ومع هذا التحول، بدأ مفهوم البحث العلمي يتغير في المنطقة من كونه نشاطاً نظرياً تقليدياً إلى كونه أداة إنتاج حقيقية للمعرفة القابلة للتطبيق. ولم يعد الهدف هو نشر الأبحاث فقط، بل أصبح التركيز على كيفية تحويل هذه الأبحاث إلى حلول عملية تدعم الاقتصاد وتخدم المجتمع.

في هذا السياق، يبرز دور الشراكات الدولية كأحد أهم مداخل بناء منظومة بحثية متقدمة في الخليج. فالتعاون مع جامعات عالمية عريقة مثل جامعة مانشستر لم يعد مقتصرًا على التعليم، بل أصبح يشمل نقل الخبرة البحثية، وتطوير البرامج التنفيذية، وبناء جسور بين الأكاديميا وقطاعات الأعمال.

وقد مثلت الشراكات الأخيرة التي أطلقها مركز جامعة مانشستر في الشرق الأوسط نموذجاً واضحاً لهذا التوجه، حيث يتم العمل على تطوير الكفاءات القيادية والتقنية ضمن إطار يرتبط مباشرة باحتياجات السوق، وخاصة في مجالات التحول الرقمي والتمويل والتكنولوجيا المؤسسية.

غير أن الأهمية الحقيقية لهذه الشراكات لا تكمن في بعدها التعليمي فقط، بل في قدرتها على إعادة تشكيل طبيعة البحث العلمي ذاته. فبدلاً من أن يبقى البحث داخل أسوار الجامعات، أصبح جزءاً من منظومة اقتصادية أوسع،

تتداخل فيها المؤسسات المالية والشركات التكنولوجية والجهات الحكومية. هذا التداخل يخلق ما يمكن وصفه بنظام "الإنتاج المعرفي المشترك"، حيث يتم تطوير الأفكار في بيئة متعددة الأطراف، ما يزيد من فرص تحويلها إلى تطبيقات واقعية.

وبالتوازي مع هذا التحول، تشهد المنطقة نشاطًا بحثيًا متزايدًا من خلال مؤتمرات ومنتديات علمية دولية، مثل اجتماع الخليج البحثي الذي يُعقد سنويًا بمشاركة باحثين من مختلف أنحاء العالم. هذه الفعاليات لم تعد مجرد منصات عرض أكاديمي، بل أصبحت فضاءات حقيقية لإنتاج المعرفة المشتركة، حيث يتم تناول قضايا معقدة تتعلق بالتكنولوجيا والسياسة والاقتصاد في سياق مترابط. كما أنها تساهم في إدخال الباحث الخليجي في شبكة البحث العالمية، وتفتح المجال أمام تبادل الخبرات وتطوير مشاريع بحثية مشتركة.

ومن اللافت في طبيعة الأبحاث المطروحة في هذه المنصات أنها لم تعد تقتصر على موضوعات تقليدية، بل تتجه بشكل واضح نحو القضايا المستقبلية، مثل دور الذكاء الاصطناعي في إعادة تشكيل أسواق العمل، وتأثير التحول الرقمي على السياسات الاقتصادية، ومستقبل الطاقة في ظل التغيرات المناخية. وهذا التحول يعكس نضجًا متزايدًا في فهم دور البحث العلمي كأداة استشرافية، لا تكتفي بتفسير الواقع، بل تسعى إلى التنبؤ به والتأثير في مساره.

وفي قلب هذا التحول، يبرز الذكاء الاصطناعي بوصفه المجال الأكثر تأثيرًا في إعادة تشكيل أولويات البحث العلمي في الخليج. فقد أصبحت هذه التقنية محورًا رئيسيًا في استراتيجيات الدول، ليس فقط من حيث الاستخدام، بل أيضًا من حيث الإنتاج والتطوير. ومع تزايد الاستثمارات في هذا المجال، بدأ يظهر توجه واضح نحو دعم الأبحاث المتقدمة التي تتناول خوارزميات التعلم الآلي، وتحليل البيانات الضخمة، وتطبيقات الذكاء الاصطناعي في القطاعات الحيوية مثل الصحة والطاقة والخدمات المالية.

لكن هذا التوجه يواجه تحديًا أساسيًا يتمثل في القدرة على بناء قاعدة علمية محلية قادرة على إنتاج المعرفة، وليس فقط استهلاكها. فمعظم التقنيات المستخدمة في المنطقة لا تزال مستوردة، ما يطرح سؤالًا جوهريًا حول مدى قدرة الخليج على تحقيق استقلاله التكنولوجي. ومن هنا، يصبح الاستثمار في البحث العلمي ليس مجرد خيار تنموي، بل ضرورة استراتيجية لضمان القدرة على المنافسة في الاقتصاد العالمي.

ومن زاوية أخرى، تظهر إحدى الإشكاليات الكبرى في منظومة البحث العلمي في الخليج، وهي الفجوة بين الإنتاج الأكاديمي والتطبيق الصناعي. فالكثير من الأبحاث، رغم جودتها، تبقى حبيسة المجلات العلمية ولا تتحول إلى منتجات أو

خدمات. وهذه الفجوة تعكس خللاً في بنية النظام البحثي، حيث لا تزال الروابط بين الجامعات وقطاع الأعمال ضعيفة نسبياً، كما أن الحوافز الموجهة لتحويل البحث إلى تطبيق عملي لا تزال محدودة.

إلا أن السنوات الأخيرة شهدت محاولات جدية لمعالجة هذه الإشكالية، من خلال إنشاء حاضنات أعمال ومراكز ابتكار ومسرعات تقنية تهدف إلى دعم تحويل الأفكار إلى مشاريع قابلة للتطبيق. كما بدأت بعض الدول في تبني سياسات تشجع على التعاون بين الباحثين والشركات، وتوفر التمويل للمشاريع البحثية ذات البعد التطبيقي. هذه الجهود، رغم حداثة، تمثل خطوة مهمة نحو بناء منظومة بحثية أكثر توازناً بين النظرية والتطبيق.

وعلى المستوى الإقليمي، يبرز توجه متزايد نحو تعزيز التعاون بين دول الخليج في مجال البحث العلمي، خاصة في القضايا المشتركة مثل الطاقة المتجددة، والأمن الغذائي، والتغير المناخي، والتحول الرقمي. هذا التعاون يعكس إدراكاً بأن التحديات التي تواجه المنطقة لا يمكن التعامل معها بشكل فردي، وأن بناء منظومة بحثية إقليمية قد يكون أكثر فاعلية من الجهود المنفردة.

وفي ضوء كل هذه التحولات، يمكن القول إن الخليج العربي يقف اليوم أمام لحظة مفصلية في مسار تطوره العلمي والتكنولوجي. فبينما يمتلك الموارد المالية والبنية التحتية والرؤية الاستراتيجية، لا يزال بحاجة إلى تعزيز جودة البحث العلمي، وتطوير رأس المال البشري، وبناء بيئة تسمح بالابتكار الحقيقي. والنجاح في هذا المسار لن يعتمد فقط على حجم الاستثمار، بل على كيفية توجيهه، وعلى القدرة على خلق توازن بين الانفتاح على العالم وبناء القدرات المحلية.

في النهاية، لم يعد السؤال هو ما إذا كان الخليج قادراً على الدخول في عصر الاقتصاد المعرفي، بل كيف يمكنه أن يصبح لاعباً مؤثراً فيه. والإجابة على هذا السؤال ستحدد مدى نجاحه في تحويل البحث العلمي من نشاط هامشي إلى قوة محركة للتنمية، ومن أداة لفهم العالم إلى وسيلة لصناعته.

المصادر

University of Manchester Middle East Centre – Strategic Partnership
<https://www.manchester.ac.ae/news/the-university-of-manchester-middle-east-centre-signs-strategic-talent-partnership>
Gulf Research Meeting 2026 – Cambridge University
PwC – Advancing Research and Innovation Capabilities across the GCC
[/www.gulfresearchmeeting.net](https://www.pwc.com/m1/en)
<https://www.pwc.com/m1/en>

[-publications/advancing-research-and-innovation-capabilities-across
the-gcc.html](#)

mohamedmouradgamal@gmail.com :تواصل مع الكاتب